المحاضرة التاسعة:

الدعوة الاسلامية ٣

ثالثاً : مرحلة الهجرة وبناء الدولة

تعد الهجرة ظاهرة من الظواهر ذات العلاقة بالرسالات الإلهية ، وبالتحولات الكبيرة في هذه الرسالات ، ليس باعتبارها راحة، أو تحولا إلى مكان أفضل للاستقرار، والعيش الهني المطمئن ، بل هي من ظواهر المعاناة والابتلاء الذي خص الله سبحانه به من اجتباه لمثل هكذا مهمات وادوار.

لقد اضطر النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى ترك موطنه والهجرة مرارا في تاريخ الدعوة الإسلامية ، فبعد أن ضيق المشركون عليه(صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمين أذن الله تعالى لنبيه المصطفى(صلى الله عليه وآله وسلم) وأتباعه بالهجرة من مكة بعد أن ضاق الحال بهم ، إذ أوذوا في سبيل الله، ونشر دعوته ، وأصبح لا بد لهؤلاء المعذبين من الفرار بدينهم ، واللجوء إلى مكان آمن يخلصهم من سطوة عتاة قريش ، ولما رأى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) إن دعوته تتعرض لضغوط قوية تمنع من انتشارها ، ومن دخول الآخرين فيها، فكان لا بد من تحرك جديد، يعطي للدعوة دفعة جديدة، ويجعلها أكثر حيوية وأكثر قدرة على مواجهة الأخطار المحتملة.

هنا كانت الهجرة هي المخرج الوحيد الذي يكفل لهذه الدعوة أن تتنفس الصعداء بعيدا عن مضايقات المشركين ، فكانت الهجرة إلى الحبشة ، إذ هاجر جماعة من المسلمين الأوائل إلى خارج الجزيرة العربية ، وتمكنوا من إيجاد حصن آمن لهم قبالة ضغوط أعدائهم ، ثم كانت هجرة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمين إلى المدينة المنورة التي كانت ذات أثر فعال في نشر الدعوة الإسلامية، وتثبيت أركان الدولة الإسلامية.

وقد أشار الإمام علي (ع) إلى هجرته إلى المدينة والتحاقه بالنبي الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) بعدما تخلف عنه في مكة بأمر منه (صلى الله عليه وآله وسلم) لـــ (يبيت على فراشه، يخادع المشركين عنه ليروا انه لم يبرح فلا يطلبوه ، حتى تبعد المسافة بينهم وبينه، وان يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) الودائع التي عنده للناس". إذ يقول: " **جَعَلْتُ أَتْبَعُ مَأْخَذَ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله ، فَأَطَأُ ذِكْرَه حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْعَرَجِ** "، فهنا يحكي الإمام ما جرى من حاله في خروجه من مكة إلى المدينة.

ولو تتبعنا معه ذلك الطريق – كما ذكرته مصادر السيرة – لوقفنا على تلك المنازل والمحال التي سار فيها رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ومن بعده أمير المؤمنين الذي أبى إلا أن يستتبع النبي الأعظم (ص) في كل خطوة من خطواته الشريفة، كيف لا وهو القائل :" **ولَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُه اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّه** " .

وفي رواية عن الإمام (ع): " لما خرج رسول الله 9 إلى المدينة في الهجرة أمرني أن أقيم بعده حتى أؤدي ودائع كانت عنده للناس ، وإنما كان يسمى الأمين، فأقمت ثلاثا وكنت اظهر، ما تغيبت يوما واحدا، ثم خرجت فجعلت اتبع طريق رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) من بدء خروجي إلى أن انتهيت إلى أن إلتقى النبي في مكان يدعى العرج. ووردت الروايات انه(صلى الله عليه وآله وسلم) أبى دخول المدينة قبل وصول أمير المؤمنين (ع) إليه، وبالفعل فقد دخلاها معا.

لقد كانت البيئة المكية غير صالحة لاقامة الدولة الاسلامية عليها ، فضلا عما لاقاه اتباع الدين الجديد من اضطهاد مرير من قبل عتاة مكة ، فكان على القيادة الحكيمة ان تبحث عن ارض صالحة لتحقيق هذه المهمة تتكفل تجسيد الرسالة الاسلامية في الحياة الانسانية ، وتقديم النموذج الذي يريده الله للاسلام على يد رسوله الامين(صلى الله عليه وآله وسلم)، ومن هنا لاحظنا اهتمام النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بالهجرة الى الطائف ، وطلب النصرة والحماية لاقامة دين الله في الارض ، وحين احجمت الطائف عن تقديم النصرة لرسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) والدفاع عنه امام قريش ، اخذ يبحث عن بيئة اخرى فكانت يثرب خياره الوحيد في هذا المضمار.

وقد كانت " يثرب " بما توافر فيها من مقومات اقامة الدولة هي العاصمة الاسلامية للدولة المحمدية ، اذ اجتمعت فيها القاعدة الشعبية التي لمس منها النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) قبولا لدعوته بعد البيعة، وشكلت مع من هاجر اليها " شعباً " مؤمناً برسالته(صلى الله عليه وآله وسلم)، فضلا عن وجود قيادة إلهية حكيمة تدير الامور وترعى عملية نشر الدعوة، الى جانب وجود دستور إلهي يحكم وفق أساسياته، وبهذا اجتمعت اهم عناصر تكوين الدولة من " شعب " و " سلطة " و " دستور " .

اذن في المدينة تكاملت ملامح الخطوط العامة للدولة، والنظام السياسي والاجتماعي، وتكوّن اول مجتمع سياسي اسلامي، اذ قام(صلى الله عليه وآله وسلم) بعد دخوله المدينة بوضع اسس مقومات دولته وعمل على تنظيم ادارة الجهاز الحكومي وتطبيق النظريات المثالية وتنزيلها منزلة الواقع ، باسلوب فريد اوحدي لم تعهده أي دولة.

كان(صلى الله عليه وآله وسلم) نبياً ومبلغاً عن الله تعالى ، كما كان حاكما وقائدا محنكا يمارس رئاسة الدولة وقيادة الجيش ومسؤولية القضاء ، وادارة شؤون المسلمين في المجتمع الجديد الذي بُني على اسس فريدة ويمكن ايجاز ابرز سمات الدولة المحمدية:

١- تقرير العبودية لله وحده ، فلا يعبد سواه من آلهة البشر والمال والاصنام . ومن ثم صناعة النظام الاجتماعي المتعاون والمتكامل الفاضل .

٢- أعطي النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) كافة الصلاحيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية وذلك لقوله تعالى ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾

وقوله﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ الى غيرها من الآيات القرانية التي تنضوي تحت هذا المضمار الذي تحظر فيه الفواحش والمنكرات، ومجتمع الاخوة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والعدل اساس المجتمع، ولا يكون التفاضل على اساس العصبية والجاه والمال بل على اساس التقوى.